الفصل السابع

علم الروحية الحديثة

obeikan.com

obeikan.com

إن تقدم العلوم في المستقبل في الأبحاث والدراسات والتجارب الروحية ستلقي أضواءًا جديدة وتعطينا معلومات جديدة على تفسيراتنا الفيزيائية والكمية للطبيعة الكونية والقيمة التي يمثلها الإنسان بعد أن سقطت في القرن العشرين كثير من الثوابت العلمية التي كانت سائدة في القرن الذي سبقه ولتحل محلها في القرن الواحد والعشرين متغيرات كان لها تأثيرها على فكر الكثير من العلماء وأدت بهم إلى التوجه نحو طريق الروحية والعلوم الروحية والمعرفة بالقدرات والطاقات الروحية في الإنسان (وهي تابعة من نفخة الروح الربانية كما يقول القرآن العظيم وتقول سائر الكتب السماوية التي جاءت قبله)، ووجود الكائنات الروحية النورية اللامادية والقدرات والطاقات اللامادية .. إلخ.

وحيث لا زالت (الروح) والقدرات والطاقات النابعة منها في عطاء الله الخالق للإنسان البشر أي النافخ فيه (من روحه) لا زالت مجهولة وغير معروفة لعلماء المادة والطبيعة المادية وقواها وطاقاتها لنقص معلوماتهم بشأنها أو عدم توفرها أصلاً عندهم أو قلة هذه المعلومات بشأنها لديهم في متواهم الحالي من العلم وكما يقول القرآن العظيم ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ والآية رد على سؤال الكهنة اليهود للنبي محمد في المدينة عن الروح.

تقول الدكتورة كارين أرمسترونج[1] (Karen Armstrong) في كتابها (تاريخ الإله) (History of God) « إن الإنسان كائن (روحي) وتقترح للجنس البشري إسما هو (الإنسان الدَّين) (Homo religious) بدلا من الإنسان العاقل) (Homo

(١) وهي مفكرة إنجليزية مهتمة بالأديان ولدت سنة ١٩٤٤م وتعتقد أن الأديان الرئيسية تتفق في المفاهيم الأساسية وترى أن الحل الجذري لجميع مشكلات الإنسانية هو « أن تعامل الناس كما تحب أن يعاملوك.» وقد دعت في فبراير ٢٠٠٨ إلى تشكيل مجلس عالمي للتوفيق بين المسلمين والمسيحيين واليهود وأرمسترونج شديدة الأهتمام وشديدة الأحترام للإسلام واصدرت عنه عدة مؤلفات عقب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ .

(Saplien ويرى عالمنا القدير الدكتور عمرو شريف أن الأعداد البيولوجي لأدمغتنا لتشكل منظومة الإلوهية - الدين - الأخلاق) والتي تنطلق من جوهر غيبي في الإنسان هو (الروح) وفيما أطلق عليه (جينات الإلوهية) التي تشارك في التوجهات الروحية للإنسان وتميزه بالذكاء الروحي (الوجودي) هذا الأعداد البيولوجي لأدمغتنا هو ما حدا بكارين أرمسترونج لأن تطلق على جنسنا البشري أسم (الإنسان الديَّن) وتؤكد الدكتورة أرمسترونج:

(إن المفاهيم الدينية فطرية عند الإنسان ومن ثم من المستحيل استئصال شأفة الدين من النفس الإنسانية). ولكن العلماء الماديين الصرف ويحسب منهم الدكتور ستيفن هوكنج يشكلون حاليًا «جبهة الإلحاد المتحدة» المستميتة في الحفاظ على كيانها الإلحادي والدفاع عنه ضد أي اختراق إيماني له علمي أو روحي أو ديني أو قرآني وينطبق عليهم ما يقوله القرآن العظيم ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس:٣٩].

إن العلم يسعى للبحث عن الحقيقة حتى وإن خرجت عن التفسيرات المادية وكانت هذه مثلا عقيدة نيوتن وأينشتاين وجاليليو وكوبرنيكوس وأبن الهيثم أما في وقتنا الحالي فكثير من العلماء الماديين - منهم مؤلف كتاب موجز تاريخ الزمن - يدَّعون أن المنظور المادي هو الطريق الوحيد للوصول إلى الحقيقة (وإن كان ذلك لم يُختبر بالأسلوب العلمي) وبالرغم من أن العلماء الماديين غير المؤمنين يعترفون بوجود الذكاء في الطبيعة فإنهم يرفضون الأقرار بالتصميم الذكي لأنه سيقودهم إلى الأعتراف بالمصمم الذكي وبالتالي بالديانات السماوية كلها ...

ونعلم الآن أنه قد نشأت حركة واسعة النطاق للبحث في (الروح) سرعان ما كان لها صداها في أغلب بلاد العالم فشملت بلاد الحضارة المعروفة وفي الهيئات العلمية التي قادت خطى هذه الحضارة وحملت مشاعلها منذ منتصف القرن الماضي حتى الآن[1].

(١) المختار وبتصرف من كتاب «الإنسان روح لا جسد» للأستاذ الدكتور رؤوف عبيد.

والأسماء في هذه الحركة كثيرة ، ومما يسترعي الأنتباه فيها أن أفضل روادها هم أنفسهم أفضل رواد العلوم المادية الذين أثبتوا أصالة في منطقهم وعمقاً في نظرتهم للأمور، كما أثبتوا أنهم في مجال التجريب والملاحظة يمثلوا مستوى خاصاً من القدرة عليهما، مما يبعث على الثقة الكافية في قيمة بحوثهم وفيما أنتهوا إليه من نتائج إيجابية. فمنهم مثلاً :

- السيكولوجي الشهير فردريك و.ه مايرز Frederic W. H. Meyers (١٨٤٣ – ١٩٠١) الذي يعد من علماء النفس المعدودين بسبب بحوثه العميقة في العقل الباطن .

- وسير ألفرد رسل والاس Alfred Russell Wallace (١٨٢٣ – ١٩١٣) وهو يعد في البيولوجيا نداً لداروين وشريكاً له في نظرية التطور عن طريق الأنتخاب الطبيعي.

- وسير وليام باريت William Barrett (١٨٤٥ – ١٩٢٦) وهو من علماء الطبيعة البارزين في تاريخها .

- ولورد رايلي Rayleigh (١٨٤٢ – ١٩١٩) ولا يقل شأناً عن سابقة، وقد نجح في عزل غاز الأرجون لأول مرة.

- وسير أوليفر لودج oliver Lodge (١٨٥٢ – ١٩٤٠) وكان يعد من أشهر علماء اللاسلكي في العالم، وظل يواصل بحوثه في موضوع الأرواح لمدة جاوزت نصف قرن، حتى بني أقتناعاً متكاملاً في هذا الشأن.

- ومنهم الفيلسوف وعالم السيكولوجيا وليام جيمس William James (١٨٤٢ - ١٩١٠) وقد سلم في مؤلفاته بصحة تجارب الجمعية البريطانية للبحث الروحي S. P. R.[1] ، والتي كان عضوا فيها ورئيساً لها وشيد عليها

(١) Society For Psychical Research .

دعائم فلسفة روحية خلدت أسمه .

- ومنهم الفيلسوف هنري برجسون Henry Bergson – أبرز فلاسفة هذا القرن بغير منازع – (١٨٥٩ – ١٩٤١) وقد كان رئيساً للجمعية الآنفة الذكرة في سنة ١٩١٣ وسلم بصحة تجاربها وأسس عليها فلسفة روحية من الطراز الأول.

- ومنهم فلكي وفيلسوف بارز وهو كامي فلاماريون Camille Flammarion (١٨٤٢ – ١٩٢٥) .

- ومنهم عالم الفسيولوجيا الشهير شارل ريشيه Charles Richet (١٨٥٠ – ١٩٣٥) الحائز على جائزة نوبل في الفسيولوجيا.

- ومنهم العلامة سيزار لومبروزو Cesar Lombroso (١٨٣٥ - ١٩٠٩) ، وهو من أشهر علماء علم الإجرام ومؤسس مدرسة فيه لعبت دوراً قوياً في تطوير القانون الجنائي ودفعه إلى الأمام .

وغيرهم كثير من أصحاب الأسماء البارزة ممن واصلوا بحوثهم في هذا الشأن لعشرات من السنين لتي بلغت الثلاثين عاماً عند كروكس وريشيه وجاوزت الخمسين عند لودج، وأنتهوا فيها إلى نتائج حاسمة ونهائية بشأن إمكان الأتصال بأرواح من نسميهم موتي وبالتالي الإيمان بخلود الإنسان.

- وبعد هؤلاء أتسعت حركة البحث العلمي في الروح حتى شملت العشرات ثم المئات من أفضل علماء القرنين الماضي والحاضر في شتى البلاد.

- ومنهم عدد من ذوي الأسماء اللامعة في الأدب وفي الصحافة مثل سير وليام .ت. ستيد William T. Stead (١٨٤٩ – ١٩١٢) الذي كان نقيباً للصحفيين في بلاده. ومثل الروائي الشهير سير آرثر كنان دويل Arthur Conan Doyle (١٨٥٩ – ١٩٣٠) الذي أمضى حياته باحثاً وكاتباً وخطيباً في موضوع الأرواح والدكتور/ راين J.B. RHINE أشهر علماء الباراسيكولوجي ورئيس مؤسسة بحوث طبيعة

الإنسان[1]، والدكتور/ يوجين برنارد (EUGENE E. BERNARD) استاذ علم النفس بجامعة كارولنيا الشمالية وغيرهم.

إن المشكلة لم تعد الآن في إقناع الخاصة من الفلاسفة، بل هي في إقناع الإنسان المثقف العادي بموضوع يتعالى بغير ما ريب على الإحساس بل على قدرة التصور الإنساني. كما تتعالى كل حقائق الكون الخطيرة على هذا وعلى ذاك، حتى وإن بدأ الإنسان مدفوعاً بفطرته إلى الأعتقاد بالروح والتعلق بالحديث فيها عن فهم أو عن غير فهم ...

أما عن موقف الفلاسف والعلماء الكبار من موضوع الأرواح، فهؤلاء قد أقتنعوا الآن وأنتهى الأمر، وخفتت نهائياً أصوات المكابرين أو كادت، وبدأت علوم الحياة وخصوصاً علماء النفس والبيولوجيا – بل وعلوم المادة غير الحية أيضاً، تتخذ لها في بطء – ولكن في ثبات – محاور روحية صريحة، ولم يصمد على المكابرة إلا حفنة من المكابرين وصفهم برجسون الفيلسوف بأنهم من « أشباه العلماء» .

ذلك يبشر بغروب عصر كثيب هو عصر التعبد لصنم جديد قديم أسمه «المادة الصلبة» والإيمان بقدرتها الخالقة المزعومة للحياة، كيما يشرق عصر الاعتراف بالروح وبقدرتها الخالقة الحقيقية بوصفها أصلا للحياة مع الأعتراف بالله مصدر كل قدرة وطاقة وروح ونور.

وهكذا صدق على كشوف الروحية الحديثة ما لاحظه سير الفرد راسل والاس عالم البيولوجيا في شأنها من أنه في كل مرة وُصِفَ أي كشف جديد بأنه غير معقول ثبتت فيما بعد صحته، فأصبح غير المعقول مع الوقت معقولا ومقبولا...

لقد أصبح العلم الروحي الحديث بفضل صفوة من رجال العلم والعقيدة

(١) EOUNDATION FOR RESE ARCH ON THE NATVRE OF MAN .

العصريين من ذوي الأذهان المتفحة مؤسسا على أسس علمية ودينية في نفس الوقت وأختفت الهُوة – أو كادت – بين العلم والعقيدة في شأن حقائق الروح وبين كافة الأديان والأجناس من جانب آخر ولم يعد لهذه الهوة من وجود حقيقي إلا في أذهان نفر من البعيدين عن جوهر العلم والعقيدة معا في حين أنه يفتح آفاقاً للبحث جديدة في التاريخ وفي اللغات القديمة وفي الفلسفة وفي الكشوف العلمية.... إلخ، وذلك فيما لا يخالف فيه عقائد الأديان السماوية وما يقرره القرآن العظيم أخر كتب هذه الأديان، بالإضافة إلى ما يثبته ويقدمه من توسيع وتعديل وتصحيح وإضافة إلى العلوم المادية البحتة الفيزيائية في حقائقها العامة النظرية وغيرها، من جديد يضاف إلى مفاهيمها ورؤاها والتي تحتاج دائماً إلى المعلومات الدينية وما يتوافق معها من المعلومات الميتافيزيقية والروحية في الأديان.

في كتاب « أشباح في المخ» (Phantoms in The Brain) يبين الدكتور راما شاندران (أستاذ ورئيس مركز أبحاث بيولوجيا المخ والأعصاب بجامعة كاليفورنيا) أن الإيمان بأمور ما وراء الطبيعة ينتشر في جميع الحضارات القديمة والحديثة ويجب أن نبحث عن أصوله البيولوجية في (المخ) ولدراسة ذلك تأسس علم جديد بأسم (neuro Theology) – وعلم بأسم (Geno – Theology) لدراسة الأسس الجينية للروحانيات ويجمع الأثنين علم (Bio – Theology) الذي يدرس الأسس البيولوجية للروحانيات. وقد توصل العلم عن طريق عالمان هما الدكتور أندرو نيوبيرج والكتور يوجين اكويلي إلى (Andrew Newberg) – (Eogene D'Aquili)[1].

إن المشاعر الروحية تصحبها تغييرات حقيقية[2] (أمكن ملاحظتها وتسجيلها وتصويرها) في نشاط الجهاز الحوفي (Limbic System) المسئول عن الأنفعالات وكذلك في القشرة المخية في المنطقة المسئولة عن الإستيعاب والإدراك

(١) الأول أستاذ الأشعة التشخصية ومدير مركز أبحاث المخ والدراسات الروحية بجامعة بنسلفانيا الأمريكية والثاني أستاذ الأمراض النفسية بنفس الجامعة .

(٢) كما يقول الدكتور عمرو شريف في كتابه «ثم صار لمخ عقلاً» الناشر مكتبة الشروق الدولية.

(Orientation Association Area) وهي تقع عند التقاء فصوص المخ: الجداري والصدغي والخلفي). وفي المقابل يؤدي تنشيط هذه المراكز من الخارج إلى الإحساس بمشاعر روحية فياضة. ومعنى ذلك أن المشاعر الروحية ليست مجرد أوهام أو تخيلات بل أن لها مراكزها العصبية في المخ .. أي أن المخ البشري وكذلك جيناتنا قد تم أعدادها وتسويتها للتعامل مع المنظومة الدينية الإلهية والتي مصدرها (الروح) التي وهبها الله للإنسان بعد خلقه وتسويته (النفخة) ثم تعديله سر قوله تعالى في القرآن الكريم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار:٦-٨].

إن العلم يلجأ إلى (أفضل التفسيرات) التي. عادة ما تتمشى مع أيديولوجية الإنسان ومعتقداته السابقة ونعلم أن العلم المعاصر صار يتبنى الأيديولوجية المادية وأن كان من العلماء من يذهب إلى القول بأن العلم سيقبل في المستقبل الكثير من المفاهيم غير المادية التي تبشر بثورة الوعي (The Concious Revolution) التي ستنزع القداسة عن موجودات الكون كما نزعتها ديانات التوحيد الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام وكما ظهر بوضوح في القرآن العظيم الذي تحدث عن أستنكار النبي إبراهيم أن تكون الأجرام السماوية ألهة وكما حدَّث النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم عند موت إبنه إبراهيم وصادف خسوف القمر الذي ظن الناس أنه خسف لموت إبراهيم فقال لهم النبي الخاتم : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد أو لحياته»[1] . ونزع القداسة عن الكون في الديانات السماوية هو نفسه إضفاء القداسة على خالق الكون، الله رب العالمين الذي خلق كل شئ بقدروقدَّره تقديرا بإحسان وحُسن بادي في الكون وفي كل ما خلق. إن الوجود ذو تناسق في قوانينه وذو أنضباط دقيق في حركته ويأخذ طابع الوحدة في هذه القوانين والحركات وفي جوهره الطاقي،

(١) والحديث رواه أئمة الحديث البخاري ومسلم عن أبن عباس .

وكلها دلالات على وجود (الواجد) [1] يتصف بالقدرة والحكمة والقوة والعظمة أحد ليس له شريك أيا كان لامن مادة ولا من طبيعة ولا من روح ولا من قوى ولا من طاقة (طبيعية أو غير طبيعية) ولا من أبعاد مكان أو زمان أو أي شئ موجود (حقيقي أو مفترض أو متخيل) ألخ وذلك لسبب منطقي وعقلاني بسيط – كما يخبرنا القرآن العظيم – هو أنه لو تعددت الآلهة الموجودة، أيا كانت ، لفسد نظام الكون المحُكم الذي يسير على هدية وهداه الوجود كله في قوانينه الثابتة التي لا تتغير ولا تتبدل ولا تتحول – كما يخبرنا القرآن العظيم – وهي تعبير عن إرادة (الواجد) ومشيئته .. وإلا لتحول الأمر في الكون عندئذ لينتهي إلى فوضي وتضارب وتناقض في القوانين ولاختل النظام والتوافق والتناسق والضبط الدقيق فيه ليحل محل الغائبة والقصد البادیان ومحل سريان القوانين والأسباب والمسببات (فيزيائية أو غير فيزيائية) يحل محل ذلك ما يُعرف «بالعشوائية» في الكون وكائناته وفي الأرض وكائناتها بما يتعارض ويخالف ماهو معلوم ومنظور ومشاهد حاليا في الكون من «حكمة» و «ضبط» و «توجيه» و «إبداع» و «حُسن» و«إنتظام» و «دقة» و «تناسق» و «توافق» و«هدي» في الوظائف والتخصصات ... إلى غير ذلك من دلالات وجود (الواجد) مُبدع وبديع في الصنع مُتقن في الفعل بالإتقان فيه .. خارق الذكاء في العمل يفوق ذكاؤه أي شئ (وأي كائن ذكي (واحد أو مجموع) أو أي أحد غيره أيا كان وأين كان وكيف كان ، وحتى لو كان من عباقرة العلماء أو أفذاذ الفلاسفة أي حتى ولو كان من أمثال أينشتاين أو هوكنج.

(١) الواجد اسم من اسماء الله الحسنى وله طاقة أي قدرة كسائر الأسماء الحسنى.

الخاتمـــــة

من هو ستيفن هوكنج

في ختام كتابي هذا أتساءل من هو ستيفن هوكنج البشر الإنسان؟ إذا كان الإنسان (ماكان) كما يقول ماكس أوتو[1] وغيره فإن ستيفن هوكنج (كان) نطفة من مني يمنى من أبيه وضعها في رحم أمه عبر غريزة الجنس وشهوتها التي عاشر بها زوجته (أم ستيفن هوكنج) جنسياً .. وكما يقول القرآن العظيم عن الإنسان ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ [القيامة : ٣٧] وعن تطور هذه النطقة التي كإنها ستيفن هوكنج يقول القرآن العظيم ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون : ١٣ -١٤] وعن الجنين في أطوار الخلق كما كان ستيفن هوكنج يقول القرآن العظيم ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾ [الزمر : ٦] هكذا (كان) وضع عالمنا الكبير ستيفن هوكنج حتى خرج إلى الحياة الدنيا مولودا من بطن أمه لا يعلم شيئا وهو ما يقول فيه القرآن العظيم لكل إنسان ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل : ٧٨] والأفئدة هي العقول وهي عن طريق الحواس من مثل السمع والبصر هي السبيل لأكتساب العلم والمعرفة والحصول أو تلقي المعلومات في مراحل السن المختلفة طوال عمر الإنسان وحتى يبلغ عمرا يفقد

(١) في كتابه « العلم والحياة الأخلاقية» Science And The Moral Life).

فيه المخ من وظائفه فتقل من معلوماته والقلب من معارفه ليقل علم الإنسان وتقل قدراته العقلية فلا يعلم بعد علمه شيئاً وقد كان من قبل عالماً... وفي ذلك يقول القرآن العظيم ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [النحل : ٧٠] مع زيادة العُمر تقل القدرات الجسمانية كما يقول القرآن العظيم ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [يس : ٦٨] إن ستيفن هوكنج البشر الإنسان يخضع كغيره من البشر من بني آدم. للتطور الموجه من الله سبحانه وتعالى (Directed Evolution – Theistic Evolution) وهو الذي يقول عنه القرآن العظيم ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾ [نوح : ١٣ -١٤] كذا من عناصر الطين (الماء والتراب) أو من الماء المهين (النطقة من المني) .. وستيفن هوكنج إنسان قبل أن يكون عالماً عبقرياً وإنسان بعد أن صار عالماً عبقريا .. إنه الوحدة الواحدة المتوحدة في الجسد والروح وفي الجسد والعقل وفي الجسد والنفس، إنه الذات (الأنا) والموضوع (الجسم والمخ والقلب – Core والعقل) وهو يكتسب العلم والمعرفة بحريته في المستويات المختلفة للوعي والإدراك عن طريق العقل أو القلب أو الفؤاد أو اللب أو النُّهي في الإدراك بالحواس وفي الإدراك الزائد على الحواس (E.S.P.) (Extra SensOry Perception) إننا كلنا نعلم كما يعلم أستاذنا الكبير الدكتور ستيفن هوكنج أن ما صار إليه هو في البداية ليس إلا نتاج ما وجد نفسه عليه في طبيعته وصورة خلقته التي وُجد عليها كإنسان في ذاته وموضوعه فيما يظهر من مكوناته في هيكله وفيما يبطن منها وأساسها (العقل) وما يتصل فيه بالمخ أو القلب والروح ووسائط مثل الطاقة الكهربائية والكيميائية والخلايا العصبية وشبكاتها المتواصلة ووظائفها المعلوماتية والحواس والبصيرة والإدراك الزائد على الحواس (E.S.P.) وكلها تولد قدرات وطاقات من مثل الذاكرة والحفظ والبيان واللغة والنطق والتعلم والتصور والتخيل والإستنتاج والأستقراء والقراءة والكتابة.. وغير ذلك مما يتميز به الإنسان وينفرد به من قدرات وخواص وطاقات.. ولم يكن لستيفن هوكنج

دخل في وجودها فيما صار إليه أو ما يتميز به أو يتفرد به ، شفاه الله وعافاه وهيأ له دائماً من يساعده ومن يحبه ويرعاه وبيَّن له الحق وإليه يهديه فيما تقرره الإديان السماوية اليهودية والمسيحية)، وفيما يقرره خاتم هذه الأديان (الأسلام) وخاتم الكتب السماوية (القرآن العظيم) فالحق لا يعرف بالرجال وإنما الرجال يعرفون بالحق. ووفقًا للأديان السماوية الثلاثة فقد جاء رسل الله كلهم بالحق كما يقول القرآن العظيم ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾[الأعراف:٤٣]، ووفقًا لخاتم رسل الله ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [يونس:٨٢].

وإذا كان الدكتور ستيفن هوكنج هو ذلك الذي ذكرنا (عما كان) فإنه (عما هو كائن) حاليا لا يخرج بعلمه ومعارفه في الفيزياء النظرية والتطبيقية وميكانيكا الكم والرياضيات والفلسفة وغيرها من علومه ومعلوماته، لا يخرج عما نراه في الأفق الأدني في دنيانا ونعتبره ويعتبره هوكنج نفسه في مستواه العلمي (الحقيقة) أو (الحقيقة المطلقة) والذي نتحدث عنه بعد الفقرة التالية مباشرة .

أما ما سيكون عليه ستيفن هوكنج فأقول عنه أنه (الموت) الذي سيلاقيه كما يلاقيه كل إنسان عالما كان أو غير عالم كما نشاهد في الحياة الدنيا التي نحياها باليقين والتيقن الذي يقول عنه القرآن العظيم كحق وحقيقة ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة : ٨] إن الموت ينطبق على العالم العبقري ستيفن هوكنج كما ينطبق على غيره من العلماء وكما أنطبق من قبل على أينشتاين وقبله على نيوتن وكوبرنيكس وجاليليو وأبن الهيثم والخوارزمي وأبن رشد وأبن سينا وكثيرون غيرهم ... أما ما بعد الموت مما لا نرى أو نشاهد سواء في حياة البرزخ أو الحياة الأخرة ومما تقول به الإديان السماوية الثلاث (اليهودية والمسيحية والإسلام) ، فلا بد أن يكون أيضاً حقاً وحقيقة باليقين والتيقن نفسه الذي يعنيه الموت ويلاقيه كل إنسان عالماً كان أو غير عالم مؤمنا كان أو غير مؤمن وسيظل لكبار العلماء في

الوقت والزمان متَّسع كما كان بالنسبة للسير أنتوني فلو (Sir Anthony Flu) للإيمان بالله. وأني أسأل ستيفن هوكنج هل تستطيع بعلومك الفيزيائية التي تتميز بها حالياً أو مستقبلاً وتتباهى بها منكراً لوجود الله، هل تستطيع أن تتجنب الموت وتكون خالداً؟! على عكس ما يقوله القرآن العظيم.

فما هي الحقيقة فيما نراه في الأفق الأدنى :

إن ما نراه بحواسنا في العالم الطبيعي في دنيانا ونحسبه حقائقاً ليس هو الحقيقة، وذلك ما يطلعنا عليه « أينشتاين» من أسرار النسبية، نحن لا نرى الدنيا على حقيقتها فالألوان التي نراها مثلاً ليست ألواناً وإنما هي موجات لا تختلف في شئ إلا في طولها .. ذبذبات متفاوتة في ترددها .. ولكن أعيننا لا تستطيع أن ترى هذه الأمواج كأمواج .. ولا تستطيع أن تحس بهذه الذبذبات كذبذبات .. وكل ما يحدث أن الخلايا العصبية في قاع العين تتأثر بكل نوع من هذه الذبذبات بطريقة مختلفة ومراكز البصر في المخ تترجم هذا التأثر العصبي على شكل ألوان ولكن هذه المؤثرات الضوئية ليست ألواناً وإنما هي محض موجات واهتزازات، ولكي نميزها عن بعضها نطلق عليها هذه التعريفات التي هي عبارة عن تصورات ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا ﴾ [النجم : ٢٣] أي أن السماء ليست زرقاء، والحقول ليست خضراء، والرمال ليست صفراء ، والورود ليست حمراء .. ألخ، وكل الألوان المبهجة التي نشاهدها في الأشياء لا وجود لها أصلاً في الأشياء، إنما هي إصطلاحات جهازنا العصبي وشفرته التي يترجم بها أطوال الموجات الضوئية المختلفة التي تنعكس عليه.

إنها جميعاً أحكام نسبية تلك التي نطلقها على الأشياء (نسبة إلى حواسنا المحدودة) وليست أحكاماً حقيقية مطلقة . العالم الذي نراه ليس هو العالم الحقيقي، وإنما هو عالم اصطلاحي بحيث نعيش فيه متعلقين بالرموز التي يختلقها

عقلنا ليدلنا على الأشياء التي لا يعرف لها ما هية أو كنه[1].

وهذه الأشياء المخلوقة الموجودة تمثل فعل الإله الأحد الخالق بمشيئته وقوته ومتانته وقدرته أي طاقته في حقيقة من « النور» التي تكون عليه وتعبر عنه الموجات في أطوالها المختلفة والأهتزازات والذبذبات المتفاوتة في ترددها، والتموجات أو الأمواج في الأطوال الضوئية المختلفة، فالنور هو الحقيقة في هذا الوجود الكوني، السموات والأرض منه، كما يقول القرآن الكريم في سورة النور ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ والإنسان، وهو الخليفة في الأرض وقطب الرحي فيها وفي هذه الدنيا، لديه (مَثَل) هذا

النور فيما يمثله المخ أي القلب، وقدراته العقلية الفائقة، والعلمية والقلبية الفاقهة والوعي والإدراك بالحواس وبما هو فوق الحواس (E.S.P.) إن تجلى، أي ظهور الأسم الأعظم، الله، في مقام الحق في الكون يكون في حقيقة (غيب البطون) التي هي في نفس الوقت (سر الظهور)، الأولى لا سبيل إلى إدراكها أو معرفة حقيقتها أو ما هيتها لأن العلم لا يدرك الماهيات أو المطلقات ولا يدرك إلا كميات ومظاهر تأثيرات وتصرفات ... والثانية هي سر تجلي الأسماء الحسنى والصفات الألهية بالنسبة للإنسان، أو غيره، من خلال وعيه وإدراكه وعقله ومخه أي قلبه الذين يستمدون من سر النفحة الربانية الروحية وطاقاتها، في رؤية يؤهله إليها عقله وفي حدود جهازه العصبي ومخه كما يرى ويظهر له في المظاهر والشئون. وبذلك يكون مصدر المعلومات عند المخلوق (الإنسان) هو الخالق (الإله). من خلال (النور) الاسم الإلهي الحسن وطاقاته.

هذا وأن «فيرنير هيزنبرج ونيلز بوهر»[1]. يقولان لنا أن الحقيقة المطلقة لا

(١) أنظر في تفصيل ذلك (أينشتاين والنسبية) للدكتور مصطفي محمود الناشر دار الأخبار (الإشارات القرآنية للسرعة العظمى والنسبة) للأستاذ الدكتور منصور محمد حسب النبي رحمة الله أستاذ الفيزياء الأسبق بجامعة عين شمس .

سبيل إلى إدراكها. فالعلم لا يستطيع أن يعرف حقيقة أي شيء، أنه يعرف كيف يتصرف ذلك الشيء في ظروف معينة ويستطيع أن يكشف علاقاته مع غيره من الأشياء ويحسبها لكنه – أي العلم – لا يستطيع أن يعرف ما هو الشيء فلا سبيل أمام العلم لإدراك المطلق، فالعلم يدرك كميات ولكنه لا يدرك ماهيات كما هية الضوء على سبيل المثال. وستيفن هوكنج يعلم أن الحقيقة الأولى في ميكانيكا الكم تقول بأنه لا توجد حقيقة بالمعنى العميق للكلمة – (THERE IS NO DEEP REALITY) وأن الحقيقة الكمية الخامسة تقول بأن العالم يخضع لنوع من التفسير المنطقي معاير للتفسير البشري له (THE WORLD OBEYS A NON-HUMAN KIND OF REASONING) وعلى الرغم من غيبيات هذه الفرضيات إلا أننا نستعمل لفظ «حقائق» للدلاله عليها[٢].

ومن هنا فإن المظاهر والشئون في دنيانا بأعتبارها «مرائي» للأسماء الحسنى، والصفات العُلى، فإنها تكون كذلك بالنسبة للإنسان من خلال وعيه وإدراكه وعقله في رؤية يؤهله لها وفي حدوده، جهازه العصبي ومخه كما يظهر له هذه المظاهر في والشئون. وهي بما أنها في هذه الحدود لا تعكس أو تمثل «الحقيقة المطلقة أو المجردة» فإن الأسماء الإلهية الحسنى بدورها يستحيل على الإنسان وبكل قواه وقدراته وإمكاناته، أن يدرك حقيقتها أي ذاتها وماهيتها وكنهها فتظل «غيباً» من الغيوب التي تستعصى على إدراك ووعي الإنسان وذلك في أتصالها بالأسم الجامع لها وهو (الله) الدال على الذات المجهول الذي ليس كمثله شئ في كل شئ ويكون (الله) الأسم العلم الدال على الذات الإلهية – كما يخبرنا القرآن في سورة الإخلاص – أحد، صمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، إن الأسماء والصفات في تعلقها بالمظاهر والشئون في الإطار الذي ذكرناه وفي الكيفية والطبيعة التي تكون عليها، تعتبر نسبية بالنسبة للإنسان في أسرارها من الظهور

(١) Vemer Heisenberg, Niels Bohr.

(٢) الدكتور المهندس محمد الحسيني إسماعيل ، في كتابه «الحقيقة المطلقة»

ولكنها في ماهيتها وحقيقتها المتعلقة بالاسم الأعظم الجامع للأسماء الحسنى (الله) تكون مطلقة أي مجهولة الكنة والماهية في بطونها في الغيب أي غيبها، (غيب البطون) وفي كلتا الحالتين يكون للأسماء الحسنى والصفات العُلى «طاقة» أي «قدرة» تعبر بها عن فعاليتها ومؤثراتها وهي ساكنة في باطن الخلق والأشياء أو طليقة في مظاهر الخلق والأشياء، والله سبحانه وتعالى هو الظاهر والباطن، وكما ذكرنا من قبل فإن هناك من الأسماء والصفات ما أستأثر الله به في علم الغيب عنده، فلا نعلمها ولكنها تظهر أو تتجلى في العالم الخارج عن نطاق قدرات أمخاخنا وجهازنا العصبي وعقولنا فيما تتعلق به من رموز يختلقها عقلنا ليدلنا على الأشياء التي لا نعرف لها ماهية أو كُنه والتي لا تمثل الحقيقة الفعلية الموجودة والتي تعتبر مرائي لتجليات أسماء وصفات علَّمها الله أحداً من خلقه أو أستأثر بها في علم الغيب عنده فلا نعلم عنها شيئاً « كما حدَّثنا النبي الخاتم محمد صلوات الله عليه وسلامه. وسيظل الناس منهم مؤمن وملحد والقرآن العظيم يقول لنا ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء : ١٥].

أن مخنا وجهازنا العصبي المركزي يعطينا صورة تتسم بالجمال والجلال والكمال عاكساً بذلك الصورة التي يريد ربنا سبحانه وتعالى أن ندركها ونعلمها ونشاهدها من خلال تجليات (الظهور الإيجابي الفعال والمؤثر) أسمائه الحسنى وصفاته العُلى الجمالية والجلالية والكمالية، ولذلك يقول لنا القرآن العظيم ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ ﴾ [البقرة:٢٥٥]. وذلك لأن تركيب مخنا وما يتيحه لنا أن نحصل عليه من علوم إيمانيةً أو ما نتحقق به من مشاعر روحية ومشاهد إحساسية، هو القدر الذي يمكننا معه أن نحيط به من العلم والمعلومات التي يعلمها الله وتمثل (شيء من علمه) للسببين:-

الأول: أننا لا يمكننا أن نحيط علماً بكل شيء في هذا الوجود الكوني خاصة

فيما لا نرصده منه.

الثاني: الله وحده والذي لا يحيط أحد به علما (وليست الصدفة أو الحظ أو العشوائية) هو الذي وكما تقول الأديان السماوية الثلاثة اليهودية والمسيحية والاسلام، وهو الذي يتصف بالعلم الشامل المحيط بكل شئ في الكليات والجزئيات والدقائق والتفاصيل الظاهرة والباطنة في هذا الوجود الكوني وكائناته كلها لأنه سبحانه وتعالى كما يقول لنا القرآن العظيم (بكل شئ عليم) و (فوق كل ذي علم عليم)، وعلمه سبحانه محيط بما يعلمه ويعمله كل إنسان وما يجهر به أو يسره ودوافعه ونياته فيه ولو كان من العلماء العباقرة الأفذاذ..

وكما قلت من قبل فإن علوم الفيزياء النظرية والتطبيقية وفيزياء أو ميكانيكاً الكم التي تخصص وتعمق فيها ستيفن هوكنج وكانت محور كتابه «موجز تاريخ الزمن» وغيره لا يمكنها (وحدها) أن تجيب على الأسئلة التي ذكرناها سالفا والتي لن نجد إجابة لها الأ في الدين كل الدين رغم أن القرآن العظيم يجهل كثير من العلماء وكثير من الناس حقائقه العلمية وما بها من إعجاز .كما وأن علوم الروحية الحديثة التي لم يتناولها هوكنج في كتابه الملئ بالعلوم الفيزيائية تعتبر أحد موضوعات العلوم الحديثة. والعلوم الدينية القرآنية يجب أن تلقى من العلماء اهتماماً أكبر وأن تحظى بدراسات أوسع وأشمل ليصل بها العلماء – وبتنسيق مع العلوم الأخرى الفيزيائية والبيولوجية والكونية والإنسانية وغيرها – إلى آفاق أوسع مما لا يزال غير معلوم من الحقائق التي لا يمكن الوصول إليها بالعلوم المادية وحدها بما فيها الفيزياء وقوانينها الكلاسيكية والكمية التي تخصص فيها هوكنج وكان غارقاً في بحورها في كتابه. لقد أقبل عدد من أبرز علماء الفيزياء والسيكولوجيا والبيولوجيا والفلك والرياضيات، على البحوث الروحية وأخذ الاهتمام بها بتزايد شيئاً فشيئاً في مختلف بلاد العالم[1].

(١) راجع كتاب « الإنسان روح لا جسد » للأستاذ الدكتور رؤوف عبيد .

إن العلم المادي يقدم لنا «أفضل التفسيرات» للأشياء كما أن مفهوم اللا حتمية في فيزياء الكم يخبرنا «أن قوانين الطبيعة التي يعبر عنها رياضياً لا تصف الجسيمات تحت الذرية على حقيقتها وإنما هي تعبر عن «نظرتنا» لتلك الجسيمات» أي أن المراقب أو الراصد له دور في تحديد ماهية المادة وتصرفاتها فنظرتنا إلى الوجود مثلا لا تعبر عن الحقيقة المطلقة للوجود ومن هنا فلا بد للعلم وللعلماء أن يتخلصوا من معتقداتهم الدوجماتية (Dogmatic) التي تخالف الحقيقة إذا أرادوا أن ينجزوا آفاقاً أوسع من العلم تشمل مجالات أوسع وأكثر مما يتناولونه حالياً عن المادة فقط .. من مثل العلوم الروحية التي تتوافق في حقائقها مع الدين. وكما يقول ربوبرت شيلدريك (Robert Scheldrake)[1].

إن في الكون ما هو أكثر من المادة.. وهناك في البيولوجيا ما هو أكثر من الدنا والانتخاب الطبيعي. وهناك في الوعي الإنساني ما هو أكثر من كهرباء وكيمياء.. «ومن هنا فإن أمثال هؤلاء العلماء عندما يواجهون موقفا علمياً ليست له تفسير إلا التدخل الإلهي فإنهم يبادرون إلى رفضه أو تشويهه أو تعميته ويقبلون تفسيرات طبيعية مادية لا يمكن أن يقبلها العقل المنصف ولا الفكر العلمي .. وكان مثلا أينشتاين يقول:« لا أتصور العلم دون إيمان عميق ويمكن تشبيه الموقف بصورة مجسدة : العلم دون الدين أعرج (Lame) والدين دون العلم أعمي (Blind)[2]. كما كان يقول « يُشعرنا العلم بشعور ديني خاص يختلف عن« الشعور الديني الساذج عند كثير من الناس بل إنني لا أتصور عالماً حقيقيا لا يؤمن بذلك».

إن المعرفة بالروحية الحديثة أخذت تكتسح تدريجياً كل العقبات المصطنعة

(١) عالم فسيولوجيا النيات والمشرف على أبحاث بيولوجيا الخلية بكمبردج والذي بدأ في الثمانينات أهتمامه بالباراسيكولوجي ومن أشهر كتبه كتاب (Science Delusion) وهو المرجع لما ذكرناه عنه.

(٢) عن كتاب (Einsteim And Religion) تأليف (Max Jammer) .

التي حاول البعض أن يضعها في طريقها عن إطلاع ناقص أو عن تسرع في الحكم على الأمور أو عن غير ذلك من عوامل الخطأ والعثار في الرأي حتى لقد أصبحت المكابرة في حقائق الروحية الحديثة ليست أكثر من حماس للجهل ومن دعوة مرفوضة من أساسها للأنطواء والتخلف تم رفض أمثالها من قبل أيا كان مصدر الدعوة وحجة الداعي.

والبحث الحديث في الروح هو في واقع الأمر مزيج من علم وتجريب ونظر وفلسفة في وقت واحد وفي بوتقة واحدة .

لقد أصبح التأثير الروحي بطاقته غير المعروفة الكنة وتأثير الكائنات الروحية والنورية اللامادية، وكذلك تأثير العقل وسطوته (وهو أثر ومظهر لنفخة روح الرب في آدم العاقل ثم كل بنيه) .

على المادة في الطبيعة من الثوابت التي لا يستطيع العلماء إنكارها كما أنه لا يوجد في الأديان السماوية الثلاثة ما ينكرها أو يخالفها.

إن الرباط قوي وتكاملي بين مشاهد الروح ومكاشفاتها التجديدية وبين مشاهد العقل واكتشافاته الحية التجريبية والرياضية، وكلاهما يفسر الحقائق الكونية من منظوره الخاص به ويأتي بالجديد فيها وبذلك تتبين لنا حقائق من أسرار وخفايا العلوم الروحية في قالب من الفهم العقلي والتفسير العلمي لها لأنهما يعكسان (الحق) في الكون في وحدته.

إن العلوم كلها متداخلة ويكمل بعضها البعض ومن الجهل والخطأ والتضليل معاداة أي علم من العلوم (المادية واللامادية) نتيجة الجهل به أو عدم قبول ما يتوصل إليه من نتائج ومعارف يقينية أو نتيجة الأسلوب الذي يتناول به المعلوم أو نتيجة التحيز المسبق للعلماء وعدم الحيدة أو نتيجة الكفر والإلحاد.. أو الظن والتخيل والوهم وعدم التيقن وأن العلوم ليست فقط العلوم المادية أو الطبيعية التجريبية وإنما تشمل أيضًا العلوم الإنسانية كالفلسفة والأخلاق والاجتماع

والقانون والآداب وغيرها . من مثل الخلايا الأصل stem cell research، والاستنساخ cloning، وتسلسل الجينوم البشري human genome sequencing، والذكاء الاصطناعي artificial intelligence، وتحوير المادة manipulation of matter، والطب الجزيئي molecular medicine، وعلم الكونيات cosmology، والإلكترونيات الدقيقة microelectronics، والتكنولوجيا الحيوية والمعلومات والاتصالات information and communications، وغير ذلك ... كلها تتضافر وتساعدنا على الوصول إلى (الحق) وإلى (الحقيقة) التي تمثلها رسالات الله وتمثلها أصول كتبه كلها وخاصة التوراة والإنجيل حتى خاتمها (القرآن العظيم) . ومجموعة العلوم الإنسانية لا يتوجه لها المنهج العلمي التجريبي الذي يتوجه فقط إلى العلوم الطبيعية التجريبية بما فيها الفيزياء أم هذه العلوم وغير ذلك. فكل العلوم ضرورية وتتضافر في الطريق المؤدي إلى (الحق) وإلى (الحقيقة) والعلم كله مختزن في العالم كله المشهود والغائب كما هو في علم (الله) الذي وسع كل شيء علمًا رغم أن العلماء تتجاذبهم توجهات متباينة ومتقلبة بين الإيمان والكفر كما تجاذبت ستيفن هوكنج وقبله ألبرت أينشتاين من كبار العلماء وغيرهم.